بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تقديم

للأستاذ الدكتور/ يحيى هاشم حسن فرغل

لابد لنا في تقديم هذه الرسالة من إلقاء الضوء على بعض الجوانب المتعلقة بموضوعها؛ لأن الموضوع الذي نعالجه يثار حوله - عمدًا - كثير من البلبلة والتشويش، وكثير من التجاهل المتعمد لمنهج البحث العلمي.

هناك سؤال مطروح الآن حول: علاقات الجدل العقدي بين الإسلام وأديان أهل الكتاب... يهودية أو مسيحية!.

هناك -مثلاً- فكرة طرحت فعلاً تصرح بأنه (من حق أي إنسان أن يتحدث - حتى بمنطق الجهل - في تمجيد دينه، وجنسه، وقومه، ولكن ليس من حقه أن يتحدث مهاجمًا دينًا آخر، ولا بد من تجريم ذلك بالقانون) [١].

وصحفي آخر يعتبر أن مجرد الإكثار من ذكر «الإسلام» يعد نوعا من الإثارة، إذ يقول عن بعض المتحدثين إنه (يطالب بسياسة إسلامية، وباقتصاد إسلامي، وبمجتمع إسلامي، وبقانون إسلامي، وبوحدة إسلامية، وبتنمية إسلامية، و... و... إلى آخر مشاكلنا بإضافة كلمة «إسلامية».. فمن غير المعقول ونحن على مشارف القرن العشرين أن ينادي أحدنا بهذا التعصب ليعيدنا إلى جاهلية العصور الوسطى..) [٢].

(١) اليوميات بالأهرام في ١٩٨٧/٣/٢٧م .
(٢) أخبار اليوم في ١٩٨٧/٣/٢٨م.

obeikandl.com

والسؤال المطروح علينا هو:

كيف يرسم قسم مقارنة الأديان - بكلياتنا ومعاهدنا - طريقه بين هذه المحاذير؟

١- أيكون ذلك بالانكباب على «الإسلام» دون تعرض لغيره؟

وإذن فكيف تتم المقارنة، وهي حق لأجهزة البحث العلمي على مستوى العالم، وهي ضرورة «داخلية» قائمة في نصوص الدين؟!

٢- أو بشرح العقيدة بكل أبعادها وعلاقاتها وملابساتها، مع المحافظة على الصلات الطيبة: وطنيًا واجتماعيًا وفرديًا، وبخاصة في الإسلام الذي يحرص على الأمرين معًا، حرية تامة في توصيف العقيدة والحكم عليها وعلى غيرها، دون أن يمثل ذلك نوعًا من الإثارة، كالذي توهمه نصارى نجران، إذ ذهبوا إلى رسول الله يعاتبونه قائلين: (مالك تشتم صاحبنا؟ قال: «ما أقول؟» قالوا: تقول: إنه عبد الله! قال: «أجل، هو عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول» فغضبوا) [١].

إذن فمجرد قول المسلم عن عيسى عليه الصلاة والسلام: إنه عبد الله ورسوله أثار غضبًا في الطرف الآخر.

فهل يمكن أن تدفعنا هذه الحساسية إلى السكوت عن تقرير ما هو صريح في الدين؟.

إذن فلتغلق معاهد الدين، ولتطمس صفحات من الكتب، وليكف القارئ عن تلاوة بعض الآيات...

ولا أظن أن هذا مقصود لعاقل من الناس...

نعم، فليكن الجدل بالحسنى...

---

(١) انظر تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ﴾ [آل عمران: ٥٩] في كثير من التفاسير، ومنها تفسير الآلوسي.

ولكن الجدل بالحسنى لا يعني طمس الحقيقة...

لأن الحقيقة سوف تعلن عن نفسها في نهاية الأمر، رضي الناس أم سخطوا. والجدل بالحسنى في باب العقيدة - بالذات - لن يخلو قط من استعمال كلمات هي من نبات هذا الميدان ومفرداته التي لا غنى عنها، من قبيل هذا «إيمان» وهذا «كفر»، هذا «مؤمن»، وهذا «كافر»، هذا «مصيره إلى الجنة»، وهذا «مصيره إلى النار».

فكيف يمكن أن يقال: انكبوا على أنفسكم ولا تتعرضوا للأديان الأخرى؟

وإذا كنا نريد أن نضع قواعد لمثل هذه الأمور فيجب أن نتقبل داخل هذه القواعد مثل هذه الأوصاف، ولا يصح أن تدخل في حساب الشجار أو في حساب الإثارة.

لقد كان ذلك هو الأمر دائمًا في تاريخ العلاقة بين المسلمين وأهل الكتاب في جميع العصور دون أن يستثير ذلك شعور أحد أو يستفز فكرًا أو يهدد أمنًا.

لتكن الحدود العقائدية حازمة بارزة كما يريدها الله تعالى، لا معنى إطلاقًا لتمييع هذه الحدود، لأن البعض وهو يعمل لتجنب الفتنة الطائفية يتطرق إلى هذه الحدود ويميعها، وهناك مقالات كثيرة تنشر يريد أصحابها أن يحققوا السلام الاجتماعي على حساب الحدود العقائدية، أو بالدخول في مساومات من أجل وضع ميثاق؟!!

إن الطريق إلى تجنب الفتنة الطائفية إنما يتحقق كما تحقق دائمًا في التاريخ الإسلامي.

فنحن لسنا مقبلين على تجربة جديدة، ولكن لقد حقق هذا المجتمع وحققت هذه الحضارة تجربتها، واستقرت الأوضاع، وساد السلام الاجتماعي دون مساومة أو تمييع بين العقيدتين، وأن السلام الاجتماعي لا يكون إلا بشريعة الله عز وجل التي تقرر أن لأهل الذمة ما لنا وعليهم ما علينا.

والحدود الأساسية التي قامت عليها هذه الرسالة تدور حول مسميات الدين

obeikandl.com

والإسلام والكفر بحسب ما تسمح به العقيدة الإسلامية.

أما عن استعمال كلمة «الدين» فإنها تأتي بمعنيين:

أ- بالمعنى اللغوي الشامل: الذي يشمل الصحيح من الدين وغير الصحيح، وقد جاء هذا في القرآن الكريم في آيات كثيرة، منها: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ [الشورى :٢١] وكقوله تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ﴾ [الكافرون :٦].

ب - ولكنها تأتي في المقام الأول بالمعنى الخاص الذي لا ينطبق إلا على الدين الصحيح، وهو هنا ليس إلا «الإسلام» دينًا لجميع الرسل والأنبياء وخاتمهم سيدنا محمد ﷺ.

ذلك هو صريح قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران :١٩].

وفي ذلك جاء قوله ﷺ صريحًا: «إنا معاشر الأنبياء ديننا واحد» متفق عليه.

وهنا لنا وقفة مع أهل الزيغ والضلال والجهل الذين كانوا - وما زال بعضهم - يعدد الأديان السماوية (الحقة).

فلما أثبتنا أنه ليس في «الحق» إلا دين سماوي واحد هو «الإسلام» اغتصبوا كلمة «الإسلام» ليلبسوها ثوبًا مرقعًا من «جميع الأديان» التي سبق أن ادعوا تعددها فقالوا: تلك الأديان «إسلام»!!

إنه إذا كان بعض هؤلاء ينوي أن يستغل حقيقة «وحدة الدين» بأن يجعلها وحدة تنطوي على «التعدد»، فيجرون بذلك مجرى التناقض الذي يقبلونه في عقيدة الألوهية نفسها، فإنه لا شأن لنا بهذا التحريف الذي لا تنتهي وسائله عندهم.

وحدة الدين المعلنة واضحة.

دين سماوي واحد.

دين فرد.

دين واحد فرد هو الإسلام لا غير.

يجب أن يكون واضحًا أننا عندما ننادي - في مجال الدين الصحيح بـ«وحدة الدين»، فإننا لا نقولها ثم نسكت ولكن نقول: (وحدة الدين عند الله: الإسلام).

إننا نسوق ذلك باعتباره مصطلحًا يعني الوحدانية ولا يعني الشمول.

ليس هذا وصفًا «جامعًا».

ولكنه وصف «مانع».

أإذا قلنا: وحدانية الله الفرد، الصمد، لننفي ألوهية فرعون، واللات، وبوذا... جاء من يقول لنا: لعلكم تقصدون وحدانية الله التي تجمع في داخلها فرعون واللات وبوذا؟

سبحان الله!

أي انحراف في المنطق هذا؟

وإنه لمما يبعث على الأسف أن رذاذًا من هذا المنطق المريض تسرب إلى أقلام تتعرض للحديث عن الإسلام.

فواحد من هؤلاء يعيب على الباحثين الذين دعوا إلى المفاصلة الكاملة مع أهل الكتاب ويقول ردًّا عليهم: (إن المسلمين في لغة القرآن هم المؤمنون بالله الواحد، وليسوا أتباع دين خاص...) [١] !!

وآخر مُعَمَّم - رحمه الله - في حديث له بالتليفزيون - بمناسبة الإسراء والمعراج - يعتبر أن ما جاء في حديث الإسراء والمعراج من قوله ﷺ عن لقائه بالأنبياء وأخوته لكل منهم «أخي موسى... أخي عيسى...» يعتبر أن هذا إعلان بالأخوة بين الإسلام والمسيحية؟!!

سبحان الله، أيجهل هؤلاء أبجديات العقيدة الإسلامية، وأن الإسلام لا يكون

---

(١) مقال الثلاثاء بالأهرام ١٩٨٧/٣/١٧م.

بغير الإيمان بالرسل، جميع الرسل ؟! ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ [البقرة :٢٨٥] ؟!

إن بعض الباحثين - الذين نُكِنُّ لهم كل الاحترام - عندما يكتبون في مجالات تخصصهم تنزلق بهم الأقدام في هذا المقام.

إذ يخلط بعضهم بين المقامين اللذين فرقنا بينهما في استعمال كلمة الدين: كلمة الدين عندما يراد بها المعنى اللغوي العام الذي يشمل الصحيح وغيره، وكلمة الدين عندما يراد بها المعنى الخاص الذي لا ينطبق على غير الصحيح فيكون عندئذٍ خاصًا بالإسلام.

يخلط بين الاستعمالين فيقتنص شواهد من المقام الأول يستعملها في خصائص من المقام الثاني، وعندئذ يعلن «تعددية الأديان» في نظر الإسلام [1].

وإذا كان لأحد أن يعلن «تعددية الأديان» في نظر الإسلام بالمعنى الأول- ما يشمل الصحيح وغيره- فإنه ليس له باسم الإسلام أن يعلن هذه التعددية بالمعنى الثاني الذي يقتصر على الصحيح ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران :١٩].

ولكن الطامة تصبح كبرى عندما يصرح بعضهم لا بتعددية الأديان التي يمكن تفسيرها بالمعنى الأول وتنتهي المشكلة، ولكن بـ «تعددية الأديان» التي لا تفهم إلا بالمعنى الثاني للدين، ويحسب هذا الباطل مفخرة من مفاخر الإسلام.

إن الاستقرار والتعايش وتجنب الفتنة لا يكون قط بمحاولات طمس الحدود ما بين العقيدتين، فهذا لا يرضي أيًا من الطائفتين، لأنه يعتدى عليهما معًا.

لتكن الحدود العقدية حاسمة بارزة، كما يريدها الله، وكما يقررها الطرفان كل من جانبه.

أما الطريق إلى تجنب الفتنة فقد كان دائمًا وسيكون بضمان من شريعة الله التي

(١) انظر جريدة الوفد في أبريل ومايو ١٩٨٧م.

تعطي أهل الكتاب حقوقهم الاجتماعية كاملة بمقتضى «الذمة».

«لهم ما لنا وعليهم ما علينا».

ومن هنا ساد الأمن والسلام والتسامح.

لقد بدأ تعامل الإسلام مع أهل الكتاب على شكل مناقشة لعقائدهم في مرحلة مبكرة من عهده المكي، كما تدل على ذلك سورة الفاتحة **«الآيات ١٤٦ من سورة الأنعام، ١٣٩ إلى ١٦٣ من سورة الأعراف، ٧٤-٩٣ من سورة يونس و ١٨ من سورة النحل، ١-٨ من سورة مريم، وفيها الرد على اليهود في افترائهم على مريم، ورد على النصارى في دعواهم بأن المسيح ابن الله، وآيات مكية أخرى كثيرة تعاملت مع أهل الكتاب على أنهم منحرفون في العقيدة قبل أن يهاجر النبي ﷺ إلى المدينة.**

وهذا الخط العقدي لا يعارض الخط القانوني الذي ظهر على شكل معاهدات بين المسلمين وأهل الكتاب، وقد نصت المعاهدة الأولى على حرية أهل الكتاب في ديارهم وعبادتهم وتعاملهم مع المسلمين، إذ جاء فيها: **«وإنه من تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة، غير مظلومين ولا متناصرين عليهم، وإن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم».**

وعلى هذا المنوال جرت معظم المعاهدات بين أصحاب النبي ﷺ وبين أهل البلاد المفتوحة، حيث أعطت هذه المعاهدات لأهل الكتاب ولغيرهم الحرية العقدية والاجتماعية والاقتصادية.

ومعاهدة النبي ﷺ مع نصارى نجران هي المثل المحتذى، وقد جاء فيها أن الرسول ﷺ قد أعطاهم ذمة الله على دمائهم وأموالهم وملتهم وبيعتهم ورهبانيتهم وأساقفتهم وشاهدهم وغائبهم وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير، وعلى ألا يخسروا أو يعشروا، ولا يطأ أرضهم جيش، ومن سأل منهم حقًّا فالنصف، على ألا يأكلوا الربا، فمن أكل منهم الربا فذمة محمد ﷺ منهم بريئة».

وهذا النموذج الرائع من التعاقد مع أهل الكتاب نراه في معاهدات خالد مع أهل

الحيرة، ومع أهل عانات، كما نجده في معاهدة عمر (رضي الله عنه) مع أهل القدس، ونجده في معاهدة عمرو بن العاص مع أهل مصر.

أما ما عرف بالشروط العمرية، فقد تراوحت بين القبول والرد عند علماء المسلمين والرد هو الصحيح.

إننا نؤكد أن الحسم في قضايا العقيدة الصريحة الواضحة شيء والسلام الاجتماعي شيء آخر، وأنه يمكن الجمع بين الأمرين دون إخلال بواحد منهما، بل نقول: إن الإخلال بواحد منهما يضر بالآخر بالضرورة.

ومن هنا فإننا نقرر بوضوح الحدود الثابتة المعلومة من الدين بالضرورة، والتي نتخذها فيصلًا في دراستنا العقدية، ومقارنات الأديان [١]، وهي تتلخص في الأمور الآتية:

١- لا يطلق لفظ الدين - وكذا لفظ الشريعة - بالمعنى الحق المقبول عند الله إلا على الإسلام، وإن كان من الممكن إطلاقه بالمعنى اللغوي العام الذي يشمل الحق وغيره.

٢- الإسلام هو الدين الوحيد الفرد المنزل من الله تعالى على جميع الرسل، ابتداء من آدم عليه السلام إلى سيدنا محمد ﷺ.

٣- الإسلام لا يعني التوحيد فحسب، وليس كل من كان موحدًا كان مسلمًا أو متدينًا بدين الله، ولكن دين الله - الإسلام - لا يكون إلا بالإيمان بالله ورسله جميعًا؛ بغير تفريق بين أحد من رسله.

٤- لا إسلام ولا دين مقبولاً عند الله بعد بعثة محمد ﷺ إلا بالإيمان به وباتباع كل ما جاء به.

٥- القرآن والسنة الصحيحة هما المصدران الإلهيان الوحيدان الموثقان اللذان يقاس إليهما كل خبر عن رسالات الأنبياء السابقين.

---

(١) أشرف أستاذنا الدكتور يحيى هاشم على رسالة دكتوراه بعنوان «تأثر اليهودية بالأديان الوثنية» للدكتور فتحي محمد الزغبي.

٦- ما عدا الإسلام فإنما هو ديانات وضعية بقي في بعضها بعض آثار من الوحي لا تعرف إلا بالقياس إلى القرآن والسنة.

٧- القرآن صحيح قاطع في وصف عقائد أهل الكتاب:

بأنها كفر، وبأنها شرك.

وبأن مصير أصحابها إلى الخلود في النار.

٨- الإسلام يسمح بوصف أصحاب هذه الديانات المخالفة بأنهم أهل كتاب ولا يسمح بوصف أديانهم بأنها سماوية.

٩- القرآن لا يقبل من أهل الكتاب - عقديًا - إلا من آمن بمحمد ﷺ واتخذه مهيمنًا على عقائده.

١٠-الإسلام قاطع في معاملة أهل الذمة بقاعدة «لهم ما لنا وعليهم ما علينا» مع بعض التفاوت في بعض الفروع، مما لا يضر بهذه القاعدة الكلية.

١١- إن هذه الأمور قطعية.

١٢- إن السلام الاجتماعي الحقيقي لا يتم إلا من طريقها.

وهو لا يمكن أن يتم بتحريف العقائد؛ لأن هذا التحريف مرفوض من جميع الأطراف.

والكتاب الذي نقدمه يُعد من أفضل الكتب التي تحدثت عن هذا الموضوع، ولا أبالغ إن قلت إنه بمنهجه يعتبر جديدًا على المكتبة الإسلامية وبعنوانه وبموضوعه يعتبر فتحًا جديدًا في علم مقارنة الأديان، إذ إن المؤلف لم يكتف بما هو مسطور في بطون الكتب بل ارتحل لمقابلة علماء الأديان - موضوع البحث - وحاور كلًّا في دينه واستفسر منهم عن فهمهم لهذه القضايا،ولعل هذا الأسلوب في البحث يعيد إلى الذهن تلك الجهود الكبيرة التي كان يقوم بها الرعيل الأول من العلماء في البحث العلمي، والتي كانت تقوم على الترحال من

أجل التثبت والحصول على الحقيقة من مصدرها وإن كنت أُعرِّف القارئ بهذه الجهود التي بذلها المؤلف لألقى من خلالها ضوءًا على منهجية البحث، إلا أن هذا ليس غريبًا على المؤلف الذي أعرفه من خلال علاقتي العلمية به منذ كان طالبًا في الفرقة الأولى في كلية الدعوة الإسلامية بطنطا، حيث كان وقتها، ومن خلال منهجه العلمي في التلقي وجدليته المنهجية، يبشر ببزوغ نجم جديد في سماء الثقافة الإسلامية، ومدافع لا تلين له قناة في الذود عن حياض الإسلام الحنيف.

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل

أ. د. يحيى هاشم حسن فرغل

* * *

obeikandl.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين... وبعد:

فمنذ تفتحت عيناي على المعرفة وأنا شغوف بكل دراسة مقارنة بين شيء وآخر، وأجد متعة في الكشف عن أوجه الاختلاف والاتفاق بين الفرق والمذاهب، إلى أن شرفني الله عز وجل بالالتحاق بكلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بطنطا - حيث وجدت ضالتي في مادة مقارنة الأديان التي كانت تدرس لنا على مدى أربع سنوات - وكانت المؤلفات التي تدرس لنا تجذبني إلى فهمها وتحصيلها والحصول على أعلى الدرجات فيها، وظلّت رغبتي وحبي لعلم مقارنة الأديان ملازمة لي أثناء دراستي العليا، خاصة عندما كنا ندرس موضوعات المقارنة بين الإسلام واليهودية والنصرانية، وقرأت عند بعض المؤلفين القدامى والمحدثين أن اليهود ليس عندهم بعث في التوراة ولفت نظري ذلك؛ إذ كيف يأتي دين من عند الله وليس فيه ما يتعلق بمصير الإنسان بعد موته.

ومما لفت نظري أيضًا ما قرأته عن النصارى من أن المسيح هو الذي يحاسب الناس في الآخرة.

كل هذه الأشياء كانت تدور في خاطري أثناء دراستي العليا. وعند التسجيل للماجستير استخرت الله وعرضت على الأستاذ الدكتور/ يحيى هاشم أن أسجل رسالة الماجستير في موضوع اليوم الآخر بين اليهودية والمسيحية والإسلام، ولقد

شد من أزري وطلب مني أن أبحث عن هذه النقطة، وقمت بالبحث عن هذا الموضوع في كتب العقيدة والأديان، وشرح الله صدري لهذا الموضوع، خاصة أنني لم أجد مؤلفًا قد تناول هذا الموضوع بالبحث والدراسة، فكتبت خطة عرضتها على الأستاذ الدكتور/ يحيى هاشم الذي من الله عليَّ بقبوله الإشراف على الرسالة، فنقحها وصاغها صياغة علمية، وكان له الفضل بعد الله في تخطيط منهجها وتحديد أهدافها وإرشادي إلى مراجع البحث.

ولقد قسمت الرسالة في البداية إلى بابين: باب يتعلق بالاعتقاد باليوم الآخر بين اليهودية والنصرانية والإسلام، وباب يتعلق بأثر الاعتقاد باليوم الآخر بين اليهودية والنصرانية والإسلام.

ولكن بعد أن توغلت في البحث وجدت أن الباب الأول بفصوله ومباحثه يربو على الأربعمائة صحيفة والباب الثاني يقترب من هذا. وكانت هذه مشكلة بالنسبة لي من ناحية الكم ومن ناحية الكيف؛ إذ إن البحث على الوضع المشار إليه يحتاج إلى فترة زمنية أكبر بكثير مما هو محدد له. وطرحت المشكلة على أستاذي الدكتور يحيى هاشم مقترحًا الاكتفاء بالباب الأول، حتى يتسنى معالجة مباحثه معالجة علمية دقيقة، فطلب مني بعض المباحث، وبعد قراءتها اقتنع فضيلته بما اقترحته عليه وأصبحت الرسالة بعد التعديل تتكون من مدخل وثلاثة فصول وخاتمة.

في المدخل: تحدثت عن اليوم الآخر في الديانات الوضعية واقتصرت منها على المصرية القديمة والهندية والفارسية، وأثبت من خلال النصوص أن اليوم الآخر عنصر أصيل في عقيدة المصريين والهنود والفرس، ورددت ذلك الاعتقاد إلى الفطرة وإرسال الرسل، لا إلى النبوغ العقلي والتفوق الفكري عند هذه الأمم،وقبل أن أتحدث عن واقعات يوم القيامة مهدت بتمهيد وضحت فيه المقصود باليوم الآخر في الإسلام والنصرانية واليهودية.

والفصل الأول: عرضت فيه واقعات اليوم الآخر، بدءًا من الموت إلى الجنة

أو النار: فتحدثت عن الموت في التصور الإسلامي والتصور النصراني والتصور اليهودي، وبينت الفروق الجوهرية بين الإسلام والنصرانية واليهودية، وكيف ربط النصارى واليهود بين مفارقة الإنسان للحياة عن طريق الموت، وعلاقة ذلك بخطيئة آدم عليه السلام، وبيّنت وجهة نظر الإسلام من مصدرية القرآن الكريم والسنة ورددت على النصارى واليهود في هذا الشأن، مبينًا أن خطيئة آدم لا يتحملها إلا هو.

ثم تحدثت عن البرزخ وعلامات الساعة بين الإسلام والنصرانية واليهودية، وأوضحت موافقة التصور النصراني للتصور الإسلامي في بعض ما يتعلق بعلامات الساعة، ورددت ذلك إلى موافقة بقايا الصحيح في الأناجيل مع صريح القرآن الكريم، وأوضحت أن علامات الساعة مقتضبة عند اليهود وليس فيها تفصيلات مناسبة مثل الإسلام والنصرانية.

ثم تحدثت عن البعث بين الإسلام والنصرانية واليهودية، وتوقفت كثيرًا عند البعث في تصور اليهود، وكيف يوفّقون بين خلو التوراة من الإشارة إلى اليوم الآخر واعتقادهم بالبعث، وفندت رأي ابن كمونة اليهودي في هذا الصدد، وعقبت على ذلك بأن السبب في خلو التوراة من الحديث عن البعث هو التحريف الذي مارسه علماء اليهود وأحبارهم بالنسبة للتوراة... وبعد ذلك تحدثت عن الحشر في التصور الإسلامي، وكيف أن النصارى واليهود لا يفرقون بين البعث والحشر.

ثم تحدثت عن الحساب، وبينت اعتقاد النصارى في أن المسيح هو الذي يحاسب الخلق يوم القيامة، وفنّدت هذا، وناقشت أحد القساوسة في ادعائه: أن السنة تشهد على أن المسيح هو الذي يحاسب الناس في الآخرة استنادًا إلى قول الرسول ﷺ: «ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكمًا مقسطًا».

وبينت الافتراء الذي اقترفه هذا القس ضد الإسلام وضد السنة، وبينت أن المسيح ينزل ليحكم بشرع الرسول ﷺ، وهذا الحكم في الدنيا لا في الآخرة،

وتحدثت عن صحائف الأعمال التي يحاسب الإنسان على أساس منها، وموافقة النصارى واليهود للتصور الإسلامي في هذا الصدد.

ثم تحدثت عن الميزان والحوض وكيف أنهما مما خص الله به أمة محمد ﷺ، ثم تحدثت عن الشفاعة، وكيف أثبت القرآن الكريم والسنة الشفاعة للرسول ﷺ، وتحدثت عن أنواع الشفاعة وعن الشفاعة العظمى للرسول ﷺ، وعن شفاعة الرسول ﷺ لأهل الكبائر من أُمته، وعرضت رأي المعتزلة في هذا الصدد، ورد أهل السنة عليهم.

ثم انتقلت للحديث عن الشفاعة عند النصارى، وراعني ما وجدت من تصورهم للشفاعة والسلطة الكاملة التي أعطيت للكهان من غفران للخطايا وعفو عن الذنوب، وأنه لا شفاعة عندهم في الآخرة. وكانت هذه مشكلة بالنسبة لي فالمكتوب في كتبهم ومراجعهم لا يذكر شيئًا عن الشفاعة في الآخرة، فأردت أن أسجل في البحث أنهم لا يعتقدون في الشفاعة في الآخرة.

وعرضت الأمر على الأستاذ الدكتور/ يحيى هاشم المشرف على الرسالة، فاقترح أن أقابل أحد علمائهم، وبالفعل قابلت أسقف عام الدراسات العليا والبحث العلمي بالكنيسة القبطية، وعرضت عليه أن يدلني على مراجع تتحدث عن الآخرة بوجه عام، والشفاعة بوجه خاص. وتحدّث الرجل عن الآخرة في التصور النصراني والخطايا التي لا يعفى عنها، وكان مما تحدث فيه أن الشفاعة في الدنيا لا الآخرة، وقسم الذنوب التي يعفى عنها في التصور النصراني والخطايا التي لا يعفى عنها، وكيف أن الإنسان إذا مات فإما أن يكون في النار وإما أن يكون في الجنة أبد الآبدين، وفهمت من حديثه أنه لا شفاعة في الآخرة، وساعدني هذا على الحكم على كثير من النقاط المثارة في البحث عن الآخرة في التصور النصراني مثل: عذاب القبر وسؤال الملكين، والميزان، والصراط، وأن الأناجيل لم تتحدث عن هذه التفصيلات.

ولم أكتف بمقابلة أسقف عام الدراسات العليا والبحث العلمي بالكنيسة

القبطية الذي يمثل طائفة الأرثوذكس، فذهبت إلى مدير معهد الدومينكان للدراسات الشرقية الأب جورج شحاتة قنواتي، لأعرف رأي الكاثوليك في بعض النقاط المثارة في البحث، ولم أجد ما كنت أنشد من المعرفة لدى الرجل، بل وصرفني عن البحث في علم مقارنة الأديان، وأحالني إلى أحد الرهبان الفرنسيين في المعهد وكانت اللغة عائقًا دون حديث الراهب معي فيما يتعلق بتصور النصارى الكاثوليك عن الآخرة، ولكنه أتاح لي فرصة الاطلاع على مكتبة المعهد، وعثرت فيها على بعض المراجع التي تحدثت عن الآخرة في تصور الكاثوليك. وكانت صعوبة العثور على المراجع تشكل عائقًا لي في مواصلة البحث وسبر غور كثير من النقاط المثارة في البحث في مجال المقارنة، فذهبت إلى دير سانت كاترين بجنوب سيناء - وهو دير تاريخي قرأت أنه يحوي الكثير من المراجع والمخطوطات - فذهبت بخطاب من الكلية ولكن رفض القائمون على الدَّيْر والمكتبة تقديم أيّ عونٍ علمي فيما يتعلق بالبحث، إلى حد أنهم لم يوافقوا أن يتحدثوا معي شفويًّا في موضوع الآخرة في التصور النصراني، وأفلت راجعًا أبحث عن مصادر اليوم الآخر في مظانه عند النصارى واليهود، وبذلت قصارى جهدي في هذا الصدد، وأسجل أن عدم توافر المصادر اليهودية كانت عائقًا لي عن البحث في كثير من الأمور المتعلقة بالبحث ولقد بذلت كل ما أستطيع من جهد وحسبي ذلك.

ثم تحدثت بعد ذلك عن الجنة والنار بين التصور الإسلامي والنصراني واليهودي وعرضت أوجه الاتفاق والاختلاف والتناقض الذي وقع فيه النصارى واليهود في تصويرهم للجنة والنار، وخلوها من الطعام والشراب والنكاح وسائر المتع، بالرغم من تصريح العهد القديم ببعض الإشارات، وكذلك العهد الجديد، وسجلت هذه التناقضات. وتحدثت عن كثير مما انفرد به الإسلام من حكم أهل الفترة وأطفال المسلمين، وأطفال المشركين. وتحدثت عن الخلود في الجنة والنار في الإسلام، والخلاف بين أهل السنة، والمعتزلة في خروج الموحدين من

النار، وبينت تصور اليهود والنصارى للخلود في النار.

ثم بعد ذلك تحدثت عن رؤية الله بين الإسلام واليهودية والنصرانية، وعرضت رأي أهل السنة ورأي المعتزلة والرد عليه من أهل السنة، ومدى التخبط والاضطراب الذي وقع فيه النصارى في عرضهم لرؤية الله، من نفيهم مرة للرؤية وإثباتهم لها، ثم تساءلت من الذي يزعم النصارى أنه يُرى يوم القيامة هل هو الله؟ أو المسيح؟ أم هما معًا؟ وبينت الخلط والاضطراب الذي وقع فيه النصارى في هذا الصدد.

ويلاحظ أن عنوان الرسالة كان يقتضي أن أبدأ باليوم الآخر عند اليهود ثم بعد ذلك عند النصارى ثم بعد ذلك عند المسلمين،ولكن بعد البحث آثرت أن أبدأ أولاً بالإسلام ثم بعد ذلك بالنصرانية ثم بعد ذلك باليهودية، وذلك لأن هناك بعض واقعات اليوم الآخر لا توجد عند اليهود ولا عند النصارى فلو بدأت بما عند اليهود أولاً سأبدأ ببعض الواقعات من فراغ وأنتهى إلى واقعة في الإسلام أتحدث عنها، ولاحظت أن هذه الطريقة لن تمكنني من إجراء المقارنة على الوجه المرجو، فعرضت الفكرة على الأستاذ الدكتور/ يحيى هاشم المشرف على الرسالة فوافقني عليها، وأصبحت فصول الرسالة ومباحثها على الترتيب الحالي. أبدأ بالإسلام باعتباره الدين الذي اشتمل على واقعات اليوم الآخر وتفصيلاته، ثم أعرض للتصور النصراني وأبين مدى الاتفاق أو الاختلاف مع الإسلام، وكذلك الأمر في التصور اليهودي. فالإسلام هو المحور الذي أرتكز عليه وأحتكم إليه عند اختلاف ما عند النصارى واليهود مع ما جاء به الإسلام.

وأخيرًا فهذا ما وفقني الله إليه في عرض اليوم الآخر بين الإسلام والنصرانية واليهودية، فإن كنت قد أصبت فأسأل الله أن يتقبل هذا الجهد خالصًا لوجهه، وأن يكفر به عنى من سيئاتي، وإن كنت قد أخطأت فالكمال لله وحده، وأسأل الله أن يعطيني أجر المجتهد.

وما توفيقي إلى بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

«المؤلف»